

تذكروا الثمن*

أريئيل شارون

لم أصوت لمصلحة اتفاق السلام مع الأردن، على الرغم من رغبتني الشديدة في ذلك. ولم أسافر للمشاركة في الاحتفال في وادي عربة، على الرغم من توقي إلى ذلك. لم يكن الأمر مخططاً من جانبي، أو موضع تفكير مسبق، بل نتاج عاصفة نفسية أخذت تتعاضم [في أعماقي] كلما مر الوقت واقتربت ساعة التصويت. لقد تملكني إحساس بأنني غير قادر على رفع يدي تأييداً لهذا الاتفاق.

إنني مع عقد اتفاقات سلام مع الدول العربية كلها، ومع الأردن بصورة خاصة؛ فالأردن هو الدولة الفلسطينية القائمة حالياً، ولا يجوز إقامة دولة فلسطينية أخرى إلى جانبه. ولذا، فمع الأردن - ومعه فقط - كنت لأبحث في الموضوع الفلسطيني.

ليس لدى شكوى ضد الملك حسين؛ فقد أدار المفاوضات على نحو جاد، كصاحب البيت، ومع جميع قواعد التشريفات الملكية. لكن إزائه [على طاولة المفاوضات] جلس جباة البلدة، وفي قلوبهم المصابة بالهلع رغبة واحدة فقط: الانتهاء سريعاً.

في هذا الاتفاق، غاب عدد من البنود، وعدد آخر كان يجب ألا يكون. مثلاً:

- ليس فيه ذكر، ولو بكلمة واحدة لصلتنا التاريخية بشرق الأردن، وبجبال غلعاد وبأرض الباشان**؛ أرض الأسباط رؤوفين، وغاد ونصف سبط منشيه.

* "يديعوت أحرونوت"، ٢٨/١٠/١٩٩٤.

** أرض الباشان تسمية توراتية لمنطقة واقعة شمالي نهر اليرموك وشرقي نهر الأردن والحولة وطبريا. (المحرر)

تلك المنطقة التي حصلنا عليها، بوصفها جزءاً من "الوطن القومي اليهودي"، من عصبية الأمم عقب إعلان بلفور، والتي سلبها البريطانيون منا بعد بضعة أعوام، سنة ١٩٢٢. صحيح أن حقائق سياسية نشأت منذ ذلك الوقت، لكن هل يجوز عدم الإشارة إلى ذلك ولو بكلمة واحدة؟

- ليس هناك رسم للحدود بيننا وبين الأردن، على امتداد المقطع القائم بين البحر الميت وغور بيسان. ولإسرائيل مصلحة حقيقية وحيوية في رسم الحدود لتمكينها من الجلوس [أي التمرکز الأمني] على نهر الأردن.
- قضية اللاجئين الفلسطينيين، وضرورة توطينهم وتأهيلهم في البلاد التي يقيمون فيها حالياً، غير ملحوظتين في الاتفاق. ولذلك، فإن الضغوط على إسرائيل للقبول بعودتهم ستشتد في المستقبل.
- بموجب الاتفاق، علينا أن نتقاسم تلك الكمية القليلة من المياه التي في حيازتنا. وعلى الرغم من ضائقنا المائية الشديدة، علينا نقل جزء منها إلى الأردن، "ليس بكمية كبيرة"، على حد قول "خبراء البلاط": فقط ما يتراوح بين ٥٠ مليون و ١٠٠ مليون متر مكعب من المياه (وهذه هي الكمية اللازمة للحفاظ على ٥٠ مستوطنة زراعية في إسرائيل).
- لا يتضمن الاتفاق بندا بشأن اعتبار منظمات الإرهاب منظمات خارجة على القانون، حتى بالنسبة إلى حركة "حماس"، التي لها مراكز قيادة في الأردن. وحكومة إسرائيل لم تطالب حتى بذلك.

هذه الأمور كلها أخطاء، وأخطاء خطيرة، لكن لعل في الإمكان تجاوزها. لكن ما لا أستطيع قبوله بأية حال من الأحوال هو منح المملكة الأردنية مكانة ودوراً على جبل الهيكل [الحرم الشريف في القدس] في اتفاق سياسي. هذا المكان الأكثر قدسية بالنسبة إلى الشعب اليهودي.

إن أي شعب في العالم ما كان ليفعل ذلك، وأية حكومة لم تفقد صوابها ما كانت تجرؤ على اتخاذ خطوة كهذه. فقط من ليس عنده قدسية لأي شيء يمكنه التصرف هكذا. ومن دون التمسك بما هو مقدس لنا، فإننا لن نبقي هنا. وفي المناسبة،

وبعيداً عن المقارنة: هل كان في إمكاننا أن نحصل من الأردن على اعتراف ومكانة خاصة في غلعاد وجبل نابو؟ هل حاولت الحكومة أن تطلب ذلك؟

لقد أحسست بأن هذا لا يحق ولا يجوز لجيلنا، الذي أوّتمن على المكان الأكثر قدسية للشعب اليهودي. وحياة الجيل أقصر من أن تحدد للأجيال المقبلة مصير هذا المكان المقدس، من خلال التنازل عنه. فالتنازل عن السيطرة على جبل الهيكل هو بداية التنازل عن السيطرة على القدس.

لكن هذه الحكومة لم تتردد، ويدها لم ترتعد [عندما فعلت ذلك].

[.....]

هذه الأناشيد، من الصعب استيعابها؛ فكل شيء يتحول، وهم يحاولون تحويل العدو إلى صديق. هذا أمر مهم، لكن لا يجوز أيضاً أن ننسى؛ [فما كان] لم يكن قصة غرامية سرية. لقد كانت حروباً ضارية على امتداد أعوام طويلة. الحاشية تتوجه إلى العقبة، وأنا أصلي: قبل أن تقدموا تنازلاً آخر، تذكروا الثمن.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>